كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين
بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون
إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة
فخطوا خطوات يسيرة فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ● ولو شاء
الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم أو في ضوء البرق فأعماهم ● وأضاء إما متعد بمعنى
كلما نوّر لهم ممشى ومسلكاً أخذوه والمفعول محذوف وإما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا
في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن أبي عبلة كلما ضاء لهم ● والمشي جنس
الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهي سعي وإذا ازداد فهو عدو فإن قلت كيف قيل مع
الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا قلت لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من
إمكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس
وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر ويحتمل أن يكون متعدياً منقولاً من ظلم
الليل ويشهد له قراءة يزيد بن قطيب أظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب
بن أوس ● هما أظلما حالي ثمت أجليا ● ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب ●
وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله
بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك
لوثوقهم بروايته وإتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق إذا
ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله
أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا يكادون
يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله ● ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته ●
وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ولو أراد الله أن يتخذ ولداً ● وأراد
ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق وقرأ
ابن أبي عبلة لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم ● والشيء ما صح أن يعلم

ويخبر عنه

ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري أواخر الكلم من العربية وإنما
يخرج التأنيث من التذكير ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو
أم أنثى والشيء مذكر وهو أعم العام كما أن الله أخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم
والحديث تقول شيء لا كالأشياء أي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فإن قلت
كيف قيل على كل شيء قدير وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت
مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلاً فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر
القادر على الأشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان أمير على الناس
أي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس وأما الفعل بين
قادرين فمختلف فيه فإن قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لأنه يوقع فعله
على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي
خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ● لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين
والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما
يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور
عند قوله إياك نعبد وإياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع
كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما إن فلاناً من قصته كيت وكيت فقصصت
عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة
الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك
نحوه فضل تنبيه واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال
من الغيبة إلى المواجهة هازاً من طبعه شيئاً لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا
الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش
الأنفس للقبول وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس
فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا أيها الناس اعبدوا خطاب لمشركي مكة

Copyright © King Saud University